المحاضرة الأولى

الكاتب والخلفية التاريخية

كاتب هذه الأسفار هو موسى، ونحن نؤمن أن الله قد أوحى إليه لكي يكتب هذه الأسفار الخمسة، علما بأن هناك خلفية تاريخية لكتابة هذه الأسفار يجب أن نضعها في الحسبان. قبل زمن موسى، كتبت شعوب كثيرة في الشرق الأدنى الأساطير والملاحم عن التاريخ البدائي. كما أن هذه الوثائق كانت متاحة لموسى منذ حداثته كونه ابن ابنة فرعون ويظهر ذلك من كتاباته التي تدل على أنه كان ملما بأدب العالم القديم. فعندما كتب موسى بالوحي الإلهي عن الخلق كان ملما بالتقاليد الأدبية الموجودة في وقته.

بالنسبة لخلفية موسى الثقافية, فكما قلنا عندما كان يكتب موسى عن إحدى القصص كان ملمًا بالقصص التي من حوله, والدليل على ذلك تأثر موسى في كتاباته بنفس الأسلوب الأدبي لهذه القصص. نعلم من كلمة الرب أن موسى قد تربى وتعلم وتثقف في مصر, ولديه خلفية ثقافية واسعة عن البيئة وثقافة وعادات شعوب المنطقة التي كانت موجودة في عصره ومن حوله. فلو تخيلنا أن بعد نجاة نوح وأولاده من الطوفان, أن أولاد نوح بالمنطق سوف يخبرون عن الحادثة الجليلة لأولادهم وهؤلاء بدورهم سيتكلمون بالقصة لأولادهم وهكذا.ستنتقل القصة من جيل إلى جيل, وهذا ما يسمى بالتواتر أي يتم رواية القصة من جماعة إلى جماعة, ومن جيل أصغر وهكذا. وبهذا المنطق انتشرت قصة الطوفان في كل الأرض. ولكن مع مرور الزمن والقصة تتكرر عبر الزمن حدث لها بعض التشوهات في حقائق الأمور، فجاء موسى وجمع هذه التشوهات كلها وصححها وحكى القصة الحقيقية أو أصلح ما شوه بها من أجزاء. إذا علمت أن سفر التكوين بما يحتويه من أحداث وأخبار وأسماء قد كتبت بواسطة موسى. فمن أين جاء موسى بهذه الأحداث والأخبار والأسماء وهو لم يكن معاصرًا لها أو شاهدًا عليها؟ فهل انتقلت هذه الأحداث عبر الأجيال لموسى كما حدث في قصة الطوفان، هل أوحى الله لموسى بكتابة هذه الأمور، وهل تأثر موسى بما حوله من ثقافة أممية. لكن يجب أن نأخذ في الاعتبار دائمًا أن شعب الله خرج من مصر متأثرًا بعادات وتقاليد وأحداث وطباع وثنية وأفكار غريبة وآلهة كثيرة.

بالنسبة للأسلوب الأدبي لكتابات موسى ففي سفر التكوين أول 11 أصحاح يتميز الأسلوب الأدبي بالتشابه الكبير لكتابات أدبية كانت موجودة في وقت موسى, فمثلاً الخلق والفساد و التطهير من هذا الفساد، فهذه الأفكار كانت موجودة في كتابات عديدة لدى الناس، وأيضًا كان هذا الكلام موجود عند ناس آخرون بالترتيب الخلق والسقوط ثم الطوفان ثم العالم الجديد كما هو الحال في ملحمة أتراحسيس. بالقطع تأثر موسى بهذه الكتابات لكن ليس هذا معناه أن موسى نقل عن هذه الكتابات ولكنه تأثر بها فقط من حيث الأسلوب الأدبي لأنها كانت من حوله ولكنه سرد هذه القصص بوحي من الله بالصورة الصحيحة.فكان هدف موسى من سرد أي قصة في كتاباته هو تعليم الشعب شيئًا، فكان ذكره لأي قصة من هذه القصص لها مغزى معين ويريد أن يقول للشعب أمرًا ما بوحي الله. إن الفترة التاريخية التي كتبت بواسطة موسى في الـ 11 أصحاح الأولى من سفر التكوين هي فترة أكبر من تاريخ العهد القديم كله .

هناك أكثر من تقسيم لسفر التكوين, أول تقسيم منهم يتضمن الآتي: أول جزء يضم أول 11 أصحاح وهو يعرف بالتاريخ البدائي، والجزء الثاني 12-50 ويعرف بتاريخ الآباء. وأول 11 أصحاح مقسمة كما يلي: أصحاح 1 ، 2 في الخلق، والأصحاحات من 3 – 11 تتكلم عن السقوط ، فالأصحاح الرابع يحكي عن سبب السقوط ، ومن 4 – 11 يظهر لنا نتائج السقوط، وسنركز اليوم على أول 11 أصحاح وخاصة أول أربع اصحاحات .

ونبدأ بالسؤال لماذا كتب موسى هذا الكلام؟ **وقبل أن نجيب هذا السؤال يجب أن نتذكر أن هذه الاصحاحات الـ 11 الأولى هي مقدمة للكتاب كله.** فلكي **نفهم الصليب والخلاص يجب أن نفهم تكوين (1-3), ولكي نفهم الخليقة الجديدة والسماء الجديدة والأرض الجديدة في سفر الرؤيا ولكي نفهم الكتاب كله يجب أن نفهم سفر التكوين أولًا وخاصة أصحاحات (1 - 3)**نستطيع القول بأن موسى أراد أن يعطي بالـ 11 اصحاح الأولى كمقدمة لسفر التكوين كله وللأسفار الخمسة أيضًا لأن الكنيسة والتقليد اليهودي يؤمنون بأن الأسفار هم كتاب واحد. . **كما أن موسى يبدأ** الكلام عن آبائهم من إبراهيم وإسحق ويعقوب وأصل أسباط بني إسرائيل لذلك كان يحكي أصل القصة .

الهدف الثاني من كتابات موسى القصصية, أنه كان يريد أن يحكي للشعب قصة الله مع نشأة العالم، وخاصة أن الشعب كان متأثرًا بالوثنية والآلهة الكثيرة والأفكار الغريبة التي كانت في أذهان الشعب آنذاك. فأراد موسى أن يحكي للشعب القصة الحقيقية.

الهدف الثالث لموسى أنه أراد أن يرى الشعب مشيئة الله، وماذا يريد الله من الشعب أن يفعله، فعلى سبيل المثال كثيرون من الشعب كانوا حانقين ومتضايقين من موسى عندما مشى بهم في البرية وتردد البعض في الاستمرار وأرادوا أن يرجعوا مرة أخرى إلى مصر.

كان موسى على الدوام يؤكد لهم أنها مشيئة الرب لهم وما يفعلونه هو الحق بعينه وهو إطاعة الرب ودخول أرض الموعد. فذهاب الشعب إلى أرض كنعان وكأن الشعب ذاهب إلى الجنة والمكوث في مصر هو مكوث في أرض خربة وفاسدة.

هناك علاقة وطيدة نستطيع أن نراها بين الخلق وقصة الخروج, فمثلما قاد نوح أولاده إلى بداية جديدة وأرض جديدة، فقد قاد موسى الشعب إلى الأرض الجديدة التي تفيض لبنًا وعسلًا. ليس هذا فقط ولكن أيضًا موسى حاول أن يربط بين إله العهد في سيناء هو الإله الذي دعا إبراهيم وهو الإله الخالق الواحد. فقصة الكتاب كله هي عبارة عن عملية استرداد الله لشعبه، فهدف الله المعلن هو أن يسكن وسط شعبه.

الآن نأتي إلى الإصحاح الأول. صمّم الله العالم أصلا لكي يكون بيئة كاملة للرجل والمرأة حتى يعملوا في صورة الله وشبهه. هذا الإصحاح هو بداية الكتاب المقدس وهو الذي يعطي لنا تقديماً للشخصيات الرئيسية في التاريخ، الله والإنسان وعلاقة كل منهما بالآخر. من أول عدد ١، أول فاعل (subject) في سفر التكوين وفي الكتاب المقدس هو الله ولفظ ألوهيم هو المستخدم هنا عن الله وهو

شكله جمع ولكن معناه مفرد وهو ليس اسم شخصي لله مثل يهوه ولكنه مناسب لهذا الإصحاح حيث نرى الله الخالق المتسلط على كل الكون وليس مجرد إله إسرائيل.

ويقف الدارس أمام سؤال شهير في (تك1) بخصوص حرفية أو رمزية الستة أيام. ما معنى الأيام الستة المذكورة في الإصحاح الأول. وللرد يجب أن نفهم أن أيام الخلق تصف إعداد الأرض لتكون مناسبة لسكانها ولحياة البشر فيها. وقبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نرى البناء الأدبي لهذا الإصحاح (تك1) مقسم إلى ثلاثة أجزاء من (تك1: 1, 2: 3)، فالجزء الأول عبارة عن مقدمة، والجزء الثاني هو جسم القصة أو جوهرها، ثم الجزء الثالث وهو جزء الختام .

الجزء الأول (تك ١: ١-٢) يحكي عن عالم الظلام والفوضى: البعض يرى أن أول آية هي عنوان عام (ولكن هناك رأي آخر يرى أن هذه الجملة تعني أن الله خلق الكون وأن ما يلي هو تقسيم وتنظيم لهذا الكون وليس إيجاده والدليل على ذلك هو الأشياء الموجودة في عدد ٢ مثل الظلمة والغمر والأرض كما أن وجود النور في اليوم الأول قبل خلق الشمس لهو أمر ملفت) فمصطلح السماوات والأرض يعني كل شيء أو الكون كله . ثم في الآية الثانية تبدأ القصة المثيرة حيث نجد حالة العالم (خراب وخلاء) وهو وصف مفزع ومقيت يوضح كيف أن حالة الأرض لا تسمح بحياة الإنسان عليها في هذا الوضع. ومعنى كلمة أرض هنا لا تعني بالضرورة اليابسة ولكنها العالم الذي يمكن للإنسان أن يعيش فيه. يلاحظ الاستخدام المختلف لكلمة الأرض في عدد ١ وعدد ٢ وعدد ١٠. ولكن في نفس الوقت يذكر موسى روح الرب وهو يرف على وجه المياه وكأنه يريد أن يقول أن أمر ما على وشك الحدوث الآن. فالله على وشك التدخل الآن لعلاج حالة الفوضى.

الجزء الثالث: **العالم المثالي المنظم:** في تك 2: 1-3 نجد نتيجة المواجهة التي حدثت في تك 1: 2. فالآية الأولى تعطي تلخيصا لاكتمال عمل الله في الخلق. في حين الآية 2-3 عندما سجل موسى أن الله استراح في اليوم السابع مُباركاً هذا اليوم ومقدساً إياه قصد أن يعلمنا أن المواجهة بين الفوضى وروح الله الذي حلّق فوقها قد انتهت. فقد اخضع الله الظلمة وحكم الغمر العميق وسُرَّ في عالمه المثالي المنظم. فتنتهي قصة الخلق بهذه الصورة الممتعة للكون وهو في حالة سلام وانسجام.

الجزء الثاني : والآن نأتي إلى الجزء الذي يشرح مواجهة الله للفوضى الموجودة. نجد أن جملة "قال الله" تعد جملة مفتاحية في هذا الإصحاح والتي تتقدم كل أفعال الله في الخلق. وبهذا نرى أن الله هو المحرك الأساسي وأن كلمته القوية هي العنصر المركزي لهذه الآيات. فعلى النقيض توجد ملحمة بابلية تحكي قصة الخلق اسمها **"إنيوما إليش"** تحكي هذه الملحمة أن الإله الكبير كان لا يستطيع النوم من أزعاج الآلهة الصغار، فقرر أن يفنيهم جميعًا، فلما سمع أحد هؤلاء الآلهة الصغار هذا الخبر قرر أن يقتل الإله الكبير وفعلاً قام بقتله. وبعد ذلك جاء الإله مردوخ ودخل حرب مع زوجة الإله الكبير تيامات وقام بقتلها وقسمها نصفين نصف أصبح السماء والنصف الآخر أصبح الأرض واستخدم دم زوجها الثاني كينجو ليخلق الإنسان

واستخدم جسمها الذي قسمه إلى نصفين ليخلق السماء والأرض واستخدم دم زوجها الثاني كينجو ليخلق الإنسان. هذه القصة كان شعب إسرائيل على علم بكل تفاصيلها, وربما ترسخت في أذهانهم أيضًا مما دفع موسى بكتابة القصة الحقيقية للخلق. والقصة الخرافية تقول بأن الكون خلق بقيام حرب بين الآلهة، وإنما في القصة الحقيقية في (تك1) هناك كلمة مفتاحية **"قال الله"**, **"كن فيكون"** ببساطة شديدة وبدون مجهود فقط بإرادة إلهية.

وبالنظر لقصة الخلق في إنيوما إليش يمكن استنتاج نظرة هذه الملحمة لكل من الآلهة والبشر والعالم.

أولا الآلهة: من القصة يتبين أن الآلهة ليسوا متحكمين تماما أو ليسوا كليي القدرة. فالإله يمكن أن يضع خطة وتحبط من إله آخر. كما أن الآلهة ليست كائنات ذات أخلاق مثالية، فأحيانا يكونون غضوبين وأحيانا أخرى يكونون لطفاء. فهم ليسوا بالضرورة صالحين أخلاقيا. كما أنهم يتصارعوا ويموتوا.

ثانيا البشر: نرى البشر غير مهمين في القصة، فهم مجرد عبيد والآلهة لا يهتمون بهم ولا يكترثون لهم.

ثالثا العالم: هو مكان محايد أخلاقيا. فلا يمكن القول أن العالم كان حسنا أو سيئا. فالعالم في الصورة الأولية له يحتوي على خير وشر

١نراها تصف إعداد الأرض لتكون مناسبة لسكانها ولحياة البشر فيها .فأيام بالنظر لأيام الخلق الستة في تك الخلق الستة نرى فيها بناء أدبي معني بأمرين، أولا تشكيل الأرض وثانياً أن يملأها .ولفهم هذا يجب أن نربط أيام بمعنى أنه شكّل الخليقة [3] الخلق بالآية 2 ولفظي "خربة وخالية "حيث نجد الثلاث أيام الأولى تحل مشكلة الخراب بفصل الأماكن بعضها عن بعض معطياً لكلٍ ملكيته الخاصة، بينما تحل الثلاث أيام الثانية مشكلة الخلاء بخلق .مخلوقات تناسب كل من الملكيات التي أوجدها

في اليوم الأول كان العالم ظلمة وقال فليكن نور، ثم فصل بين النور والظلام، وفي اليوم الثاني خلق الجلد وفصل بين السماء والمياه على الأرض, وفي اليوم اليوم الثالث بدأت الأرض في الظهور من المياه التي كانت تغمرها, وبدأت تنمو النباتات والأشجار فيها مكونة الوديان والسهول والجبال والغابات والصحراء, أي أنه في اليوم الأول والثاني والثالث كان عبارة عن عملية تنظيم وترتيب. نجد في اليوم الرابع بدء تسكين ما خلق في اليوم الأول وهم الشمس والقمر والنجوم وتم تحديد النهار والليل وتنظيم الوقت, وفي اليوم الخامس بدأ تسكين ما خلق في اليوم الثاني وهم الطيور والأسماك, وفي اليوم السادس بدأ تسكين ما خلق في اليوم الثالث وهم جميع الدواب والحيوانات والإنسان.

يمكن القول أن قصة الخلق في تكوين ١: ١ – ٢: ٣ كانت بمثابة هجوم أو نقد لقصص الخلق المعروفة لشعب
إسرائيل واتضح ذلك في النقاط التالي:

١. بما أن الخلق من العدم حدث في تكوين ١: ١ فهذا ضد فكرة أن المادة كانت موجودة قبل أن يخلق الله.

٢. في قصص الخلق في الملحمات المختلفة نرى التنانين (تكوين ١: ٢١(كانوا بمثابة منافسين للآلهة الكنعانية التي تصارعت معهم وهزمتهم). هذه التنانين نراها من المخلوقات التي صنعها الله عدد ٢١
في قصص المحلمات نرى أن فصل المياه عن المياه أو السماء عن الأرض جاء نتيجة لصراعات بين الآلهة، في حين أن سفر التكوين يفعل ذلك بمجرد الأمر.

٤. في الشرق القديم انتشرت عبادة الشمس والقمر والنجوم، وفي سفر التكوين لا نرى حتى ذكر اسمهم حتى لا يؤلهوا بل يطلق عليهم مجرد النورين العظيمين.

٥. البشر غير محوريين في قصة الملاحم المختلفة وإنما خلقوا لخدمة الآلهة وإراحتهم من العمل وتوفير الطعام لهم. في قصة التكوين نرى ذروة الخلق في خلق الإنسان والله هو من يمنح الإنسان الطعام وليس العكس.
فكاتب سفر التكوين كان على دراية بقصص الخلق المختلفة ولا يقتبس منها وإنما يكتب ما يناهضها.
٦. الاسم المستخدم لله هنا هو ألوهيم وليس يهوه وهي مناسبة لهذا الإصحاح الذي يتكلم عن الله الخالق بسلطان لكل العالم وليس مجرد الإله الشخصي لإسرائيل.
٧. الله ليس فقط خالق ولكنه أيضاً مشرع أو واضع القوانين. فهو من يفرق بين النور والظلام، وهو من يأمر الخليقة ماذا تصنع. فهو من يكلف الإنسان بأن يتسلط على الأرض وهو من يحدد الأدوار المختلفة للخليقة. فالله هو من حدد أن يكون الإنسان هو المتسلط.
٨. اليومين الثالث والسادس مميزين ففيهما تفاصيل إضافية ويتضح أنهما متعلقين ببعض. فاليوم الثالث لم يقتصر فيه الخلق على الأرض ولكن أيضا على الأشجار والنباتات، أما اليوم السادس ففيه خلق الإنسان الذين سيعيش على الأرض وسيتغذى على هذه النباتات. كذلك الحيوانات تأكل النباتات وبهذا لا يوجد نوع من الصراع من أجل الحياة فلا يوجد إنسان أو حيوان يأكل الآخر وهذا يعني تواجد مسالم لجميع المخلوقات.
٩. الخليقة متمايزة عن الله ومعتمدة عليه في نفس الوقت. الله ليس جزءا من الخليقة فهو الذي صنعها ويحكمها. إلا أن الخليقة معتمدة عليها في وجودها. (أيوب ١٢: ١٠ - أع ١٧: ٢٥ و ٢٨ – عب ١: ٣) ولكنها في نفس الوقت تعلن عنه ، فكون الخليقة تفعل ما أمرها الله به هو إعلان عن مجد هذا الإله (مز ١٩: ١) جوردون صفحة ٣٨
١٠. الإنسان متميّز عن الحيوانات لأنه مخلوق على صورة الله وطبقا لشبهه (26 - 27) أن يكون عنده سيادة بين كلّ الكائنات الحيّة في العالم. فهو تاج الخليقة. فكل القصة تتحرك وكأنها تجهز الأرض لخلق الإنسان عليها.
فهناك مخلوق متميز عن باقي المخلوقات التي خلقها الله وهو الإنسان لأنه على صورة الله ومشابه له، وأعطاه الله الخالق سلطة على كل الخلائق، فهو يعتبر تاج الخليقة، وهو مندوب وسفير وخليفة الله على الأرض الذي أعطاه الله كل الصلاحيات لكي يتسلط على الأرض ومن فيها.

وعند خلق الإنسان قال الله **نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا** " وقد ظهرة عدة تفاسير لاستخدام الجمع هنا. فهناك من يقول أن الله استخدمها

1. ليخاطب المجلس السماوي (مز 82)
2. جمع يدل على العظمة لكن المقصود مفرد (اش **6**: **8**)
3. جمع يدل على الترو (خلينا نشوف.....)
4. جمع يشير إلى الثالوث وخاصة أنه هناك تلميحات كثيرة في أجزاء أخرى من الكتاب تشير إلى اشتراك اقنومي الابن والروح في الخلق (كولوسي 1: 16- يو 1: 3 – عب 1: 2 – تك 1: 2 .

أما فكرة أن الإنسان على صورتنا ربما المقصود بها أن للإنسان

- فكر وإرادة ومشاعر
- جانب روحي (قادر على إقامة علاقة روحية مع الله)
- أخلاقي (لوثر وكالفن)
- قادر على إقامة علاقات (كارل بارت)
- متسلط على الخليقة (نائب الله على الخليقة). الإنسان هو صورة الله وممثل الله على الأرض وهذه الفكرة في غاية الأهمية (الملك قديما كان يحب أن يصنع لنفسه تماثيل في كل مكان) فموسى يذكر الشعب أنهم ممثلين الله على الأرض.

الفكرة الأخيرة قوية لأن الكاتب ذكره أن الله خلق الإنسان على صورته يضيف ليقول ما هو المتوقع والمطلوب من الإنسان. لذلك منحه الله ما يجعله متفوقا على جميع الكائنات. فهو لديه قدرات لغوية ولديه ضمير وحرية إرادة وفكر خلاق مجرد وضبط نفس.

كما أن كون الإنسان على صورة الله فهو له مكانة وحماية وقدسية خاصة ... فهو ممثل الله على الأرض والاعتداء عليه أو الإساءة إليه هي بمثابة الإساءة لمن يمثله

قبل أن نترك هذا الإصحاح يجب الإشارة إلى شاهد آخر في (تث32: 10-11) **وَجَدَهُ فِي أَرْضِ قَفْرٍ وَفِي خَلاءٍ مُسْتَوْحِشٍ خَرِبٍ. أَحَاطَ بِهِ وَلاحَظَهُ وَصَانَهُ كَحَدَقَةِ عَيْنِهِ. كَمَا يُحَرِّكُ النَّسْرُ عُشَّهُ وَعَلَى فِرَاخِهِ يَرِفُّ وَيَبْسُطُ جَنَاحَيْهِ وَيَأْخُذُهَا وَيَحْمِلُهَا عَلَى مَنَاكِبِهِ هَكَذَا الرَّبُّ وَحْدَهُ اقْتَادَهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلهٌ أَجْنَبِيٌّ.** وهنا ننجد علاقة بي كلمتي (خلاء, خرب) في كل من الخلق والخروج. فإذا نظرنا بدقة إلى الخروج والخلق نلاحظ أن اللفظين (خلاء, خرب) لم يستخدما مع موسى إلا في (تث32؛ تك1) فقط، ويقصد بالخلاء هو حالة الفوضى التي كان يعيش فيها الشعب في مصر في العبودية، *ويرف بجناحيه* يقصد بها إعطاء الشكل في الخليقة وتشير إلى عملية الخروج من مصر. وليس هذا فقط ففي يوم الراحة للرب بعد ما انتهى الله من الخليقة ، فقال سأخذكم إلى بيت الراحة، ونذكر عندما عصى الشعب موسى في البرية قال الرب لهم من خلال موسى" **لن تدخلوا راحتي"** أو أن الله أقسم أنهم لن يدخلوا راحته.